

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ تَحْتِ الْمَرْكَبِ
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ سَمَاءٍ

أهل البدع في القنوات الفضائية



تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة

أستاذ العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة

بجامعة الملك سعود بالرياض

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. وبعد..

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين، ودالّين وموجهين، وجعل هدي الأنبياء وطريقتهم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وآخر الأنبياء وخاتمهم هو محمد بن عبد الله ﷺ، بعثه الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيراً، فوجه لسبل الهدى، وحذر من سبل الردى، وما ترك خيراً إلا دلّ الخلق عليه، ولا شراً إلا حذرهم منه.

وأنزل الله تعالى عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فأمر الناس بالاتباع ونهاهم عن الابتداع، وذلك لخطر البدع، فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية لعظم إفسادها، وضلال سعي أهلها، ولأن صاحبها لا يتوب منها لأنه يرى أنه على الحق فكيف يرجع عنه، إلا ما شاء الله تعالى. وأخطر البدع ما كان علمياً اعتقادياً؛ كبدع الفرق الاعتقادية مثل الشيعة، والخوارج، والمعتزلة، وغيرهم..

وهذه الفرق ظهرت قديماً ولا زال فكرها وأتباعها إلى هذا الزمان، بل اشتد الأمر في زماننا فصار لهذه الأفكار البدعية وسائل إعلام حديثة يروجها أهلها بها. وقد اجتهد العلماء من القديم بالرد على المبتدعة تأليفاً وتدريساً ونصيحة إلا أن هذه الوسائل على عظيم منفعتها وكبير أثرها أصبحت في زماننا محدودة التأثير؛ لأن أكثر الناس اليوم لا يهتمون بالقراءة.

فسلك فريق من أهل العلم سبيلاً رأوا أنه من أنجع الوسائل اليوم لمواجهة هذه البدع والتحذير من أهلها، وحماية الإسلام منها، وهذا السبيل هو مناظرة أهلها على رؤوس الأشهاد، ومزاحمتهم في المنابر التي تمكّن لهم، في القنوات الفضائية، وصفحات وغرف الشبكة العنكبوتية.

ومن هنا يبرز السؤال عن مشروعية هذا الأمر، وعن المنهج الشرعي تجاهه، والضوابط في ذلك، والنتائج المترتبة عليه.

فرايت كتابة هذا البحث المختصر في «مناظرة أهل البدع في القنوات الفضائية - نظرة عقدية» خاصة أني ممن شارك في عدد من المناظرات مع الشيعة من خلال قناة «المستقلة» في بريطانيا - لندن.

وقسمت هذا البحث إلى فصلين، وسبعة مباحث:

الفصل الأول: مفهوم البدعة، والمناظرة.

المبحث الأول: البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع.

المبحث الثالث: معنى المناظرة، وأدلتها.

المبحث الرابع: موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع.

الفصل الثاني: المناظرة في القنوات الفضائية.

المبحث الأول: مصالح مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثاني: مفاسد مناظرة أهل البدع علانية.

المبحث الثالث: آداب المناظرة.

المبحث الرابع: توجيهات عامة لمناظر المبتدعة.

ثم خاتمة، وثبت المصادر، والفهرس.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم . . آمين . .

كتبه د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

الأستاذ المساعد بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود بالرياض

الرياض في ٢٤ جمادى الثانية ١٤٣١هـ

الفصل الأول

مفهوم البدعة، والمناظرة

المبحث الأول

البدعة، تعريفها، والنصوص الواردة فيها

تمهيد

لم يختلف أهل العلم في ذم البدع، وتكاثرت أقوالهم في التحذير منها، وبيان خطرها، واتفقوا أن خير الهدي هو هدي رسول الله ﷺ، ووضعوا للبدع ضوابط وتعريفات، كشفوا بها عوارها، وجلّوا معناها. وفيما يلي سياق شيء من تعريفات أهل العلم للبدعة.

* أولاً: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

تعريف البدعة لغة:

قال ابن منظور: بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه. البديع، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أي: ما كنت أول من أرسل وقد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وأبدع وابتدع وتبدع: أتى ببدعة قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الفتح: ٢٧] وبدّعه: نسبه إلى البدعة.

واستبدعه: عدّه بديعاً. والبديع المحدث العجيب.

والبديع: المبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال.

والبديع: «من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها..»^(١).

(١) لسان العرب مادة (بدع) ٣٤١/١ - ٣٤٢.

وقال الراغب الأصفهاني: «الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء... والبدع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] قيل معناه: مبدعاً لم يتقدمني رسول..»

والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة^(١).
وقال أبو البقاء الكفوي: «البدعة كل عمل عمل على غير مثال سبق فهو بدعة»^(٢).

❖ ثانياً: تعريف البدعة اصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريف البدعة وتحديد مفهومها فمنهم من حصر البدعة في باب العبادات، فضيق مفهومها فقصرها على الابتداع في باب العبادات اصطلاحاً.
ومنهم من وسع مفهومها فأطلقها على كل محدث من الأمور وجعلها تنقسم إلى أقسام خمسة: فهي إما واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة^(٣).

والمختار في تعريف البدعة شرعاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى^(٤).

(١) المفردات ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) الكلبيات ص ٢٢٦.

(٣) انظر مسالك العلماء في تعريف البدعة في المصادر الآتية: قواعد الأحكام ١٧٢/٢؛ الاعتصام ٣٧/١؛ تهذيب الأسماء واللغات ٢٢/٣؛ الباعث ص ١٣؛ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٧٠؛ الأمر بالاتباع ص ٨١؛ تليس إبليس ص ١٦؛ فتح الباري ٥/ ١٥٦؛ جامع العلوم والحكم ص ٣٣٥؛ الفروق ٢٠٢/٤؛ تهذيب الفروق ٢١٧/٤؛ البدعة ص ١٩٥؛ إصلاح المساجد ص ١٤؛ اتقان الصنعة ص ٧؛ السنّة والبدعة ص ١٩٥؛ السنن والمبتدعات ص ١٥؛ كلمة علمية هادئة في البدعة وأحكامها ص ١٢؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٣٢١/٢؛ الموسوعة الفقهية ٢١/٨.

(٤) الاعتصام ٣٧/١.

(طريقة في الدين) الطريقة والطريق السبيل، وقيدت بالدين لأنها فيه تُخترع، وإليه يضيفها صاحبها.

(مخترعة) أي: طريقة ابتدعت على غير مثال سابق.

(تضاهي الشرعية) يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك؛ من التزام كميّات وهيئات معيّنة.

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)؛ لأنّ أصل الدخول فيها يحثّ على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك^(١).

قال ابن رجب: «فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين منه بريء»^(٢).

وقال: «والمراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغة»^(٣).

قال ابن حجر: «والمراد بقوله: «كل بدعة ضلالة» ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام»^(٤).

مقارنة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للبدعة:

المعنى اللغوي أعمّ من المعنى الشرعي، فالعلاقة بينهما العموم والخصوص المطلق؛ إذ كل بدعة في الشرع يطلق عليها لغة أنها بدعة، وليس كل ما يطلق عليه في اللغة أنه بدعة بدعة في الشرع.

والبدعة في الشرع ملازمة لصفة الضلالة؛ لقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة»^(٥).

(١) انظر: علم أصول البدع لعلي حسن ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/١٢٨.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/١٢٧.

(٤) فتح الباري ١٣/٢٥٤.

(٥) رواه مسلم (٨٦٧)؛ وأبو داود (٤٦٠٧).

وأما البدعة بمعناها اللغوي فليست كلها ملازمة لوصف الضلالة.

✽ ثالثاً: نصوص الكتاب والسنة في الحث على اتباع السنة والتحذير من البدعة:

أولاً: الآيات الأمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الآيات التي أمر الله تعالى فيها باتباع الشريعة، وملازمة طريق الأنبياء، كثيرة متنوعة، منها:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣].
قال القرطبي: «هذه آية عظيمة... فإنه لما نهى وأمر وحذر هنا عن اتباع غير سبيله فأمر فيها باتباع طريقه»^(١).

فالصراط المستقيم المذكور في الآية الكريمة هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبل أهل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع والأهواء.

٢ - وقال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الراغب الأصفهاني: «والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله»^(٢).

٣ - وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

٤ - وقال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

(١) تفسير القرطبي ١٣٧/٧.

(٢) المفردات في ألفاظ القرآن ص ١٥٦.

فأمر الله ﷺ برد المتنازع فيه إلى قوله ﷺ وإلى قول الرسول ﷺ .
 ٥ - وقال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك: «ومن أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً»^(١).

ولأن الله ﷺ أخبر بأن الشريعة قد كملت قبل وفاة النبي ﷺ فلا يتصور أن يجيء إنسان ويخترع فيها شيئاً؛ لأن الزيادة عليها تعتبر استدراكاً على الله ﷺ وتوحي بأن الشريعة ناقصة وهذا يخالف ما جاء في كتاب الله^(٢).

٦ - وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي: «تنبه: يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه ﷺ فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر إذ لو كان محباً له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة ومنه قول الشاعر:

لو كان حبك صادقاً لأطعته
 إن المحب لمن يحب مطيع»^(٣).

٧ - وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فكيف يسوغ لمسلم بعد ذلك أن يخترع شيئاً في الدين، يضاهي به شرع الله تعالى، ويضل به العباد.

* * *

(١) الاعتصام ٥٣/٢.

(٢) الموسوعة الفقهية ٢٣/٨.

(٣) أضواء البيان ٢١٧/١؛ وانظر: تفسير المنار ٢٨٤/٣.

ثانياً: الأحاديث الآمرة بالاتباع الناهية عن الابتداع:

الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في النهي عن البدع والمحدثات كثيرة متنوعة، منها:

١ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم». ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»^(١).

وفي رواية عند النسائي: «وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»^(٢).

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثم خَطَّ خَطْوَةً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سَبِيلُ عَلِيٍّ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] الآية [النساء: ١٥٣]^(٣).

٣ - وعن أبي نجیح العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر ثم وعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.

فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٤٦٤.

(٢) سنن النسائي ٣/١٨٨ - ١٨٩؛ صحيح سنن النسائي ١/٣٤٦.

(٣) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/٢٤١؛ وأحمد ٣٠٥٢؛ والنسائي ٢١٥؛ وانظر حول الحديث: كتاب السنة ص ١٣؛ مشكاة المصابيح ١/٥٩.

وكل بدعة ضلالة»^(١).

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢).

وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث: «الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»^(٤).

٥ - وعن بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحيأ سنة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً»^(٥).

٦ - وعن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟».

(١) رواه أبو داود، انظر: عون المعبود ٢٣٤/١١؛ والترمذي، تحفة الأحوذى ٣٦٥/٧ وقال: حسن صحيح؛ ورواه أحمد الفتح الرباني ١٨٨/١؛ وابن حبان، صحيح ابن حبان ١٧٨/١، وهو حديث صحيح صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي؛ المستدرک ٢٨٨/١.

(٢) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري مع الفتح ٢٣٠/٦؛ صحيح مسلم مع شرح النووي ٣٧٩/٣.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم مع شرح النووي ٣٨٠/٣.

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٨١.

(٥) رواه الترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال البيهقي: هذا حديث حسن، انظر: سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذى ١٠٦/١٠ - ١٠٧؛ سنن ابن ماجه ٧٦/١؛ شرح السنة ٢٣٣/١؛ صحيح سنن ابن ماجه ٤١/١ - ٤٢.

قالوا: بلى. قال: «إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً»^(١).

٧ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»^(٢).

٨ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»^(٣).

فهذه النصوص واضحة في التحذير من الابتداع في الدين، وبيان خطر البدعة، لذلك كان السلف يحذرون من البدع ويشنعون على أهلها، كما ستأتي نصوصهم في ذلك.



(١) رواه الطبراني في الكبير ٣١٥ بإسناد جيد.

(٢) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. المستدرک ١/٢٨٤.

(٣) رواه الطبراني ٣٢٢ وإسناده حسن.

المبحث الثاني

الآثار الواردة عن السلف في التحذير من البدع

تمهيد

خير الناس هم القرن الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والسلف الصالحون هم القدوة بعد رسول الله ﷺ في التعامل مع أهل البدع، والموقف تجاههم.

وقد تكاثرت الآثار عن السلف في التحذير من البدعة والابتداع، وبيان المنهج في التعامل مع المبتدعة، وسوف أورد هنا عدداً من هذه الآثار، ثم أبين كيف نستفيد منها في واقعنا في التعامل مع أهل البدع اليوم.

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة»^(١).

٢ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة»^(٢).

٣ - وعنه أيضاً قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»^(٣).

(١) رواه البيهقي في المدخل ص ٢١٥؛ إصلاح المساجد ص ١٣؛ وانظر: البدعة وأثرها السيء في الأمة ص ٤٢.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/٢٨٨؛ والبيهقي ٢١٧؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرک ٢/٤٤٥؛ وانظر: الباعث ص ١٣؛ الأمر بالاتباع ص ٤٨؛ صحيح الترغيب والترهيب ص ٢١.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢١٩) ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي: ورواه الدارمي؛ مجمع الزوائد ١/١٨١؛ سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/٢٥٨.

- ٤ - وعنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»^(١).
- ٥ - وعنه قال: «أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول»^(٢).
- ٦ - وعنه قال: «تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق»^(٣).
- ٧ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً» رواه البخاري.
- قال الحافظ: «قوله: يا مشعر القراء: المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العباد»^(٤).
- ٨ - وعنه رضي الله عنه قال: «كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم»^(٥).
- ٩ - وقال أبو العالية: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا»^(٦).

- (١) رواه أبو خيثم في كتاب العلم، وقال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح، كتاب العلم ص ١٢٢.
- (٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ١٨٤/٢؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص ٥٩ - ٦٠.
- (٣) رواه الدارمي وعبد الرزاق في المصنف، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/١١٥؛ المصنف لعبد الرزاق ٢٥٢/١١؛ جامع بيان العلم وفضله ١٥٢/١؛ وانظر: الأمر بالاتباع ص ٥٩.
- (٤) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٥/١٧.
- (٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١١٥/٢؛ ومحمد بن نصر في السنة ص ١٥٤، وذكره أبو شامة في الباعث وعزاه لأبي داود، وقال الشيخ الألباني: لم أجده في السنن، انظر: الباعث ص ١٥ - ١٦؛ الاتباع ص ٦٢؛ إصلاح المساجد ص ١٢؛ السلسلة الضعيفة ١/٣٧٤.
- (٦) ذكره ابن الجوزي والسيوطي ورواه معمر في الجامع؛ انظر: تلبس إبليس ص ٨؛ الأمر بالاتباع ص ٤٩؛ المصنف لعبد الرزاق ١١/٣٦٧.

١٠ - وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السُّنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»^(١).

١١ - وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «سَنَّ رسول الله وولادة الأمر من بعده سُنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»^(٢).

قال الشاطبي: «وبحق وكان يعجبهم فإنه كلام مختصر جمع أصولاً حسنة من السُّنة منها ما نحن فيه لأن قوله: ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. قطع لمادة الابتداع جملة. وقوله: من عمل بها فهو مهتد. مدح لمتبع السُّنة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]»^(٣).

١٢ - وقال عمر بن عبد العزيز يوصي رجلاً: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سُنَّته... فعليك بلزوم سُنَّته فإنها لك بإذن الله عصمة...»^(٤).

١٣ - وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: «اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»^(٥).

- (١) ذكره ابن الجوزي والسيوطي، انظر: تلبس إبليس ص ٩؛ الأمر بالاتباع ص ٤٩.
 (٢) رواه ابن عبد البر، وذكره الشاطبي في الاعتصام وقال: إنه كان يعجب مالكاً جداً، جامع بيان العلم وفضله ١٨٧/٢؛ الاعتصام ٨٧/١.
 (٣) الاعتصام ٨٧/١.
 (٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ٢٣٨/١٢ - ٢٣٩، صحيح سنن أبي داود ٨٧٣/٣.
 (٥) ذكره الشاطبي والسيوطي؛ الاعتصام ٨٣/١؛ الأمر بالاتباع ص ١٥٢.

١٤ - وعن عثمان الأزدي قال: «دخلت على ابن عباس رضي الله عنه فقلت له: أوصني، فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»^(١).
 فهذه نصوص السلف رحمهم الله في الأمر بلزوم السُّنة واجتناب البدعة.
 أما ما يتعلق بموقفهم من مناظرة أهل البدع، فسيأتي الكلام عليه لاحقاً^(٢).



(١) ذكره الخطيب في الفقيه والمتفقه، والبعوي في شرح السنه، وأبو شامة في الباعث؛ والسيوطي في الأمر بالاتباع، الفقيه والمتفقه ١/ ١٧٣؛ شرح السُّنة ١/ ٢١٤؛ الباعث ص ١٥؛ الأمر بالاتباع ص ٦١.

(٢) انظر المبحث: الرابع، في الفصل: الأول.

المبحث الثالث

معنى المناظرة، وأدلتها

تمهيد

اختلاف الآراء وتعددتها، من طبيعة البشر، وليس هذا الاختلاف مختصاً بأمور الشريعة ومسائل الدين، كلا، بل هو عام في كل العلوم. فكان أهل كل فن يتناظرون، في مجالسهم، ومؤلفاتهم، فيتفقون بعدها، أو يبقون على اختلافهم، ولا يزال مسائل الخلاف والنقاش والمناظرة موجودة إلى زماننا هذا، بل صارت اليوم أكثر توسعاً وتأثيراً من خلال وسائل الإعلام الحديثة.

وسوف أسوق هنا تعريفات للمناظرة، وأبين شيئاً من آدابها قبل الخوض في المناظرة عبر القنوات الفضائية.

❖ معنى المناظرة:

من أحسن تعريفات المناظرة ما اختاره إمام الحرمين الجويني عندما تكلم عن تعريف الجدل، وهو: إظهار المتنازعين مقتضى نظرتيهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة^(١)..

وأشار رَضَّ اللهُ في كلامه إلى أنه لا فرق عنده بين الجدل والجدال والمناظرة، وهذا يعني صلاحية هذا التعريف للمناظرة كذلك.

وبذلك يظهر من معنى المناظرة أنها مختصة بتراجع الكلام مع خصم لا

يرى رأيك على سبيل إثبات صواب قولك وبطلان قوله، فيكون المراد منها الظهور والغلبة، ولا يبحث فيها فيما إذا كان قوله صواباً أم فيه شيء من الصواب ليتبعه المناظر، وإنما كل طرف من أطراف المناظرة يتبغي العلو على مناظريه بالحجة، ويريد أن يقطع حجج خصومه.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، في معرض كلام له عن المناظرة: «وهي في الاصطلاح - أي: المناظرة -: المحاوراة في الكلام بين شخصين مختلفين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق»^(١).

وقال الزبيدي في تاج العروس: «والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته»^(٢).

✽ شروط المناظرة:

الأول: أن يجمع بين خصمين متضادين.

والثاني: أن يأتي كل خصم في نصرته لنفسه بأدلة ترفع شأنه وتعلي مقامه فوق خصمه.

والثالث: أن تصاغ المعاني والمراجعات صوغاً لطيفاً.

بسم الله القائل: ﴿وَلَوْ سَاءَ رُبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

ولكثرة الاختلاف بين الناس وجدت المناظرات لإقرار الحق والوصول إليه.

وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنًا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من القويم.

(١) آداب البحث والمناظرة: ٣/٢

(٢) تاج العروس مادة (ن ظ ر) ٥٧٥/٣.

قال ابن عبد البر رحمته الله تحت باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمرء: أن «الآثار كلها في هذا الباب المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما وردت في النهي عن الجدال والمرء في القرآن.. وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة - أهل السنة - إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم..»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «.. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية..»^(٢).

❖ دليل المناظرة من القرآن:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير في تفسيرها: «وقوله: ﴿وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب..»^(٣).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال عز وجل: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعْبَدُ وَيُمَيِّتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمَيِّتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال: ﴿يَتَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِنَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ

(١) جامع بيان العلم ١١٣/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤ - ١٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٤.

أَمَانِيَهُمْ قُلْ هَاؤُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ [البقرة: ١١١].

وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

❖ دليل المناظرة من السنة:

قال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستكم»^(١).

وهذا يتضمن الأمر بالمناظرة وأنها نوع من الجهاد.

❖ حكم تعلم فن المناظرة:

أما حكم إقامة المناظرة، والمشاركة فيها، فهو يختلف باختلاف الحالات التي تجري فيها هذه المناظرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجدال قد يكون واجباً أو مستحباً كما قال تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الرعد: ١٢٥] وقد يكون الجدال محرماً في الحج وغيره؛ كالجدال بغير علم وكالجدال في الحق بعد ما تبين»^(٢).

وقال الإمام النووي: «اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾...»^(٣).

والمناظرة عموماً أمر مندوب إليه إذا كان فيها مصلحة، إلا أنها قد تكون واجبة نصرة للحق، بإقامة الحجج العلمية، والبراهين القاطعة، وحلّ المشكلات في الدين، لتندفع الشبهات، وتصفو الاعتقادات، إذا كانت البدعة ظاهرة وأهلها لهم في الناس تأثير، وكان المناظر من أهل السنة له قدرة على دحض البدعة والرد على الشبهات.

(١) رواه أحمد وغيره.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠٧/٢٦.

(٣) الأذكار ص ٥٣٠ - ٥٣١.

بل قد تكون فرض عين، إذا لم يوجد سوى عالم واحد وكان أهلاً
للمناظرة في الحالات التي تجب فيها، وتجب أيضاً إذا عيّن الحاكم عالماً
لمناظرة أهل الباطل وكان هذا العالم أهلاً لذلك.



المبحث الرابع

موقف السلف الصالح من مناظرة أهل البدع

تمهيد

تقدم سياق أقوال السلف في التحذير من الابتداع في الدين، والتحذير من الأهواء والمحدثات، ومن ذلك ما جاء عن معاوية بن قرة؛ أن سالم بن عبد الله حدثه عن ابن عمر قال: «ما فرحتُ بشيء من الإسلام أشد فرحاً بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء»^(١).

وسأل المرؤذي الإمام أحمد بن حنبل: من مات على الإسلام والسنة مات على خير؟!

فقال له أحمد: «اسكت، من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله»^(٢).

وليس مشروعاً سماع شبهات أهل البدع، أو مجالستهم، أو قراءة كتبهم، إلا لعالم ممتلئ القلب بالإيمان، ضليعاً بالعلم، كما قال النبي ﷺ: «من سمع بالدجال فليناً عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات»^(٣).

قال الإمام ابن بطة معلقاً على هذا الحديث: «هذا قول رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، فالله الله معاشر المسلمين، لا يحملن أحداً منكم

(١) اللالكائي ١/١٣٠.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٨٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٢٨؛ وأبو داود ٥٠١؛ والحاكم ٥١/٢.

حسنُ ظنه بنفسه وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء فيقول أداخله لأنظره، أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشد فتنة من الدجال، وكلامهم ألصق من الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب.

ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبّونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم فما زالت بهم المباشطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم^(١).

لذلك كانوا يتجنبون مجالسة أهل البدع، أو سماع شبهاتهم، خشية أن يتأثروا بشيء من مذاهبهم.

ومن ذلك ما ورد عن محمد بن سيرين أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء.

فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟!

قال: لا. قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟

قال: لا، تقومان عني وإلا قمْتُ.

فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: ما كان عليك أن يقرأ عليك آية؟

قال: «إني كرهت أن يقرأ آيةً فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي»^(٢).

وهذا يدل على شدة حذرهم من قليل البدع، فكيف بكثيرها.

وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ - إلى قوله - ﴿أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَأَيْتَ

(١) الإبانة الكبرى ٢/ ٤٧٠.

(٢) الشريعة للأجري ١/ ٤٤١، ٥/ ٢٥٤٥؛ الإبانة الكبرى ٢/ ٤٤٥، و٤٥٨ بنحوه.

الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى اللهُ فاحذروهم»^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: باب شرك فُتِحَ على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم، فيجري شركهم على أيديكم^(٢).

وعن أبي ثور قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: «أما أنا فإنني على بينة من ديني، وأما أنت فاذهب إلى شاكٍ مثلك فخاصمه»^(٣).

وعن الحسن أن رجلاً أتاه فقال: يا أبا سعيد إنني أريد أن أخاصمك (يعني أناظرك في شيء)، فقال الحسن: إليك عني، فإنني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه، وإذا كان الرجل ذا جدل تكلفنا له في الرد بالعقل والمنطق ولا نقيم للقرآن والسنة وزناً؟^(٤).

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني: ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت وفيه أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِبُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]^(٥).

وقال موفق الدين بن قدامة المقدسي: «ومن السنة: هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدل والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب

(١) البخاري (٤٥٤٧)؛ مسلم (٢٦٦٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/٦٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/٩٩، حلية الأولياء ٦/٣٢٤، ٩/١١٢.

(٤) اللالكائي ١/١٢٨.

(٥) العقيدة السلفية ص ١٠٠.

المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة»^(١).

قال اللالكائي: «فما جُني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدأ ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى الغرماء بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة! وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج! وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقراناً، وأخذاناً، وعلى المداهنة خلاناً وإخواناً، بعد أن كانوا في الله أعداء وأضداداً، وفي الهجرة في الله أعواناً يكفرونهم في وجوههم عياناً ويلعنونهم جهاراً، وشتان ما بين المنزلتين وهيئات ما بين المقامين»^(٢).

قال الغزالي: «وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً؛ فقلما ينفع معه الكلام، فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه، وأحال بالقصور على نفسه، وقال: إن عند غيره جواباً ما، وهو عار عنه، وإنما هو ملبس عليه بقوة المجادلة»^(٣).

وقد بَوَّبَ الأَجْرِيُّ في الشريعة عدة أبواب تدل على هذا الأصل من مجانية المبتدعة والحذر من الاختلاط بهم والجلوس معهم فمن ذلك:

«باب الحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه ﷺ، وترك البدع، وترك النظر والجدال فيما يخالف الكتاب والسنة وقول الصحابة ﷺ»^(٤).

وبَوَّبَ اللالكائي: «سياق ما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل

(١) متن لمعة الاعتقاد ص ١١١.

(٢) اللالكائي ١٩/١.

(٣) إحياء علوم الدين ٤٧/١.

(٤) الشريعة ٣٩٨/١.

البدع وجدالهم والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثه وآرائهم الخبيثة»^(١).

وبعد سياق هذه النصوص، أقول: هذا الرأي من السلف ليس قاعدة مطّردة منهم في كل المواقف والأحوال، بل ينبغي على الناظر أن يتلمّس بواعثهم على هذه الآراء والمواقف، وينظر أيضاً في مواقفهم الأخرى التي ثبتت عنهم في مناظرتهم وكلامهم مع أهل البدع، ثم يقيسها بواقعنا ليعرف إمكانية تطبيقها اليوم.

فقد ثبت مناظرة بعض السلف لأشخاص من رؤوس المبتدعة، كما في المناظرة المشهورة بين الإمام عبد العزيز الكناني المكي الشافعي مع أحد أكبر شيوخ المعتزلة بشر المريسي..

وذلك في زمن الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)، وكانت المناظرة لإبطال رأي المعتزلة في القرآن، إذ زعموا أنه مخلوق من جملة المخلوقات لم يتكلم الله به!

وهذا رأي باطل، فمذهب أهل السنّة والجماعة أن القرآن كلام الله تعالى تكلم به حقيقة غير مخلوق منه بدأ واليه يعود، نزل به الروح الأمين على سيد البشر أجمعين، وهذا معتقد أهل السنّة والجماعة في القرآن..

وقد استطاع المعتزلة الوصول للخليفة المأمون والتأثير عليه بمذهبهم، وجعلوه يمتحن العلماء بسؤالهم عن قولهم ومعتقدهم في القرآن الكريم.. ووقعت على المسلمين فتنة ومحنة عظيمة.

فكانت عند ذلك المناظرة العلنية المشهورة بين الإمام الكناني، وبشر المريسي.

فهذه مواقف متفاوتة لأهل العلم في التعامل مع المبتدعة.

والذي يظهر لي - والله أعلم -:

• أن الذين كرهوا مناظرة المبتدعة أو سماع شبهاتهم، إنما كرهوا ذلك لأنهم رأوا فيه إعلاء لشأن القائل بالبدعة، وإظهاراً لبدعته، فإنك متى ناظرته أقمت له وزناً، وزاد هو في الدفاع عن الباطل الذي يحمله.

أما إذا ترك المبتدع لا يُكلم، ولا يُجالس، ولا يُناظر، ماتت بدعته ولم تلق رواجاً.

• وظروف المناظرات وأسبابها تختلف من زمان إلى زمان، ومن شخص لآخر، ومن بلد لغيره، ومن موضوع لغيره، ومن فرقة مبتدعة لغيرها، وهذا سبب اختلاف آراء أئمة السلف رحمهم الله في مناظرة أهل البدع، من محذر عن ذلك، إلى حاث عليه، وذلك أنهم كانوا أهل حكمة وعلم، وورع وتقوى، يقدرون الأمور بقدرها، ويتأملون الظروف المحيطة، والمصالح والمفاسد.

• ومسألة اتباع السلف في مواقفهم وآرائهم تتعلق بسعة العقول والأفهام، وتصوّر الموضوع من كل جوانبه، وقد يتبنى البعض رأي رجل من السلف دون تفقّه لمنهجه وظروف الرأي الذي تكلم به أو أفتى، ولربما تمسك بظاهر بعض أقوالهم أو أفعالهم ونزلها على ظروف زماننا دون تأمل، مع أن العاقل الحكيم يجزم أنهم - ربما - لو عاشوا زماننا لرأوا غير ما رأوه وقالوا فيه غير ما قالوه في ظروف زمانهم، ولكن الله تعالى قسّم بين الناس الفهوم والعقول كما قسّم بينهم المعاش والأرزاق.

• وهذه الآراء والمواقف تختلف باختلاف العصور والأحوال، ومما يناسب أن يورد هنا، ما ذكره الفقهاء: أن الإمام ابن أبي زيد القيرواني صاحب (الرسالة) المعروفة في المذهب المالكي، والتي شرحها كثيرون. هذا الإمام زاره بعض معاصريه من الفقهاء، فوجدوا في داره كلباً للحراسة، فقالوا له: إن مالكا كان يكره اقتناء الكلاب! فقال لهم: لو أدرك مالك زمننا لاتخذ أسداً ضارياً^(١). يعني: لقد تغيرت أحوال الناس، ولم تعد حاجات الناس في

(١) راجع القصة في: منح الجليل شرح مختصر خليل، باب في البيع ٣٦٩/٩؛ وانظر: شرح العلامة زروق على الرسالة ٤٢٤/٢.

زمن أبي زيد القيرواني كما كانت في زمن مالك، فلجأ الناس إلى الكلاب لتحرسهم من اللصوص وقُطّاع الطرق، فالحاجات إذن والأحوال والآراء والأشخاص كلها تتغير، وإذا تغيّرت تغير الحكم المبني عليها.

• وبذلك نستطيع التوفيق بين ما ورد من نهي السلف عن مناظرة أهل البدع، وبين ما ورد عنهم في حوادث كثيرة من حكاية مناظرات طويلة - أحياناً - مع أهل البدع.

وسياتي تفصيل ذلك في المباحث اللاحقة عند الكلام عن ضوابط المناظرات، ومنافعها وأضرارها^(١).



(١) انظر المبحث: الأول والثاني، من الفصل الثاني.

الفصل الثاني

المناظرة في القنوات الفضائية

المبحث الأول

مصالح مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

أضحت القنوات الفضائية اليوم، سلاحاً صارماً، ومؤثراً لا يستهان به في صياغة العقول والقرارات، وقد كشفت إحصائية أجريت مؤخراً عن انطلاق ١٠٣ قنوات تليفزيونية فضائية عربية في عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م وحده فيما وصل عدد القنوات العراقية التي انطلقت في الفترة بين عامي ٢٠٠٣م و٢٠٠٨م إلى ٤٣ قناة متنوعة^(١).

ولذلك استعملها أصحاب الفكر والأديان في بث معتقداتهم، وآرائهم، وعقد المناظرات والحوارات بينهم، ومن ذلك ما بثته قناة «المستقلة»^(٢) من مناظرات بين السُّنة والشيعية، وكانت مناظرات علنية يراها الكبير والصغير، والعالم والجاهل، والعربي والأعجمي، بل يراها جميع أهل الأديان. وكانت الأفكار تطرح وتناقش بكل صراحة، ويصرح كل فريق بمذهبه وعقيدته، مستدلاً بما بين يديه من حجج.

(١) جريدة الاقتصادية، الجمعة ١٢ محرم ١٤٣٠هـ. الموافق ٩ يناير ٢٠٠٩م العدد (٥٥٦٩).

(٢) قناة المستقلة: قناة فضائية أنشأها د. محمد الهاشمي، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مقرها بريطانيا - لندن، تُعنى بالحوارات الثقافية، والمناظرات العلمية، في شتى المواضيع، الدينية، والسياسية، والثقافية، وغيرها، ومن أشهر ما نشر فيها من مناظرات، المناظرات التي حصلت بين السُّنة والشيعية، شارك فيها عدد من علماء أهل السُّنة والجماعة، وعدد من الطائفة الشيعية، وكان لهذه المناظرات تأثير كبير، خاصة على عامة الناس من الفريقين.

والمناظرات في الغالب لا تخلو من فوائد، قال الإمام المزني: «لا تعدو المناظرة إحدى ثلاث:

إما تثبت لما في يديه.

أو انتقال من خطأ كان عليه.

أو ارتياب فلا يقدم من الدين على شك.

قال: وكيف ينكر المناظرة من لم ينظر فيما به يردّها؟^(١).

وحديثي هنا عن المناظرات التي تناقش مواضيع جادة، بأساليب علمية، وحوار مرتب منظم، ويمثل المشاركون فيها فرقاً ومذاهب ينتسبون إليها، لها أتباع، وأصول، وفكر، ومؤلفات، وسيكون كلامي منصباً في أغلبه على المناظرات بين السُّنة والشيعة التي شاركت فيها، ولمست أثرها.

وقد كان لهذه المناظرات العلنية، عدد من المصالح، منها:

• رفع مستوى الوعي عند جماهير الناس وعامتهم، وجذب اهتماماتهم بأسلوب مناسب، وتحريك أذهانهم، وشحن عقولهم.

• أسلوب المناظرة المبني على السؤال الجواب، من أنجع الأساليب في التعليم، وتناقل المعلومات، وهذا ما يقع في الحوارات بين المتناظرين.

• إبراز العلماء، وتعريف عامة الناس بهم، ولفت النظر إلى برامجهم الأخرى ليتابعها الناس ويستفيدوا منها^(٢).

• تعريف الناس بكتب أهل العلم، وربطهم بالبحث والمراجعة.

• كشف مخططات أهل البدع، وإظهار عوار معتقداتهم، وهتك

أستارهم، وفضح أسرارهم.

• ومن ذلك أن المناظرين الشيعة كان خطابهم موجهاً للسنة فقط،

(١) جامع بيان العلم ٢/١٣٢.

(٢) وهذه إيجابية فيما يخص العلماء من أهل السُّنة والجماعة، وهي مفسدة فيما يخص المبتدعة، وذلك أنهم إذا عرفهم عامة الناس وتابعوا برامجهم تأثروا بفكرهم، وسيأتي بيان لذلك في المبحث القادم.

وحاولوا أن يبرؤوا أنفسهم من المعائب، وجرّهم ذلك إلى إنكار عدد من عقائدهم المشهورة المتفق عليها عندهم، والتهرب من حقيقة مذهبهم، ولم يأخذوا بعين الاعتبار أن كثيراً من متابعيهم هم من طائفة الشيعة، فصاروا متناقضين، ولا شك أن هذه التناقضات سوف تؤتي أكلها في قادم الأيام.

• فهم حرصوا على مخاطبة عوام أهل السنة خاصة، والعالم أجمع، لكسب أتباع جدد، وتحسين صورتهم أمام الناس، ولم يراعوا أن الشيعي يسمع ويرى مشايخه ينفون أصول مذهبهم الذي يقرؤه في كتبهم ويسمعه في مجالسهم؛ وإنكارهم القول بسب الصحابة رضي الله عنهم، أو تكفيرهم، وإنكارهم قولهم بتحريف القرآن.. وغير ذلك، مع أن هذه حقائق وعقائد شيعية ثابتة تحفظها نساؤهم وأطفالهم قبل كبارهم وعلمائهم، فيقع عند الشيعي شك في أصول مذهبه وعلمائه.

• وكذلك التشكيك في كتب ومراجع الشيعة المعتمدة عندهم، مثل كتاب «الكافي» وغيره، وهذا بين واضح أثناء المناظرات؛ لأنه كلما أورد أحد المناظرين من أهل السنة حجة على الشيعة واستدل بأقوالهم المعتمدة وقرأ على الملاء نصوصاً من كتبهم، كان جواب مناظري الشيعة أن هذا غير صحيح وأن الكتاب غير معتمد.. فيقع عامة الشيعة في اضطراب بين قبول ما في كتبهم أو رده.

• أن عوام الشيعة ومثقفهم اكتشفوا فساد معتقدتهم، وضلال ما تربوا عليه من مذهب التشيع، وعلموا أن علماءهم عند المناظرة والمكاشفة مع الحق، لا يستطيع أحدهم البوح بحقيقة مذهبه على الملاء، بل تتضارب أقواله ويفقد سيطرته على نفسه، ويضطرب كلامه، وتتناقض آراؤه، وينتهي إلى حيرة هو وأتباعه.

ولم يسبق - فيما أعلم - أنه حصل فضح لعقائد الشيعة بمثل هذه الشمولية والانتشار، كما وقع في قناة المستقلة^(١).

(١) لقراءة بيانات أصدرها رؤوس من الشيعة، انظر:

- هذه المناظرات تفيد العوام الذين لا يقرؤون، كما تفيد المثقف والعالم، خاصة إذا كانت بأسلوب واضح، وعبارة سهلة^(١).
- فضح جرأة أعداد من رؤوس الشيعة على الله تعالى، فضلاً عن جرأتهم على الصالحين من عباده؛ كالأنبياء وأتباعهم من أصحابهم الكرام.
- ومن الأمثلة على ذلك قول أحد المناظرين من الشيعة: إن الرب الذي أمات أبا سفيان على الإسلام وأمات أبا طالب على الكفر هذا رب لا نريده!! عياداً بالله من ذلك^(٢).
- وبهذا يظهر أن لهذه المناظرات فوائد لا يمكن تغافلها، وتزداد هذه الفوائد والمنافع بهاءً إذا لوحظ آداب وشروط مهمة، سيأتي تفصيلها^(٣).
- فهذه جملة من المصالح، التي إن تحققت، نفعت هذه المناظرات، وحققت ما يرجى منها من مصالح، بإذن الله.



١ - وكالة الأنباء الشيعية بيان لمنير الخباز.

<http://ebaa.net/khabar/2203/01/04/khabero4.htm>.

٢ - بيان رفيق الموسوي.

<http://www.ansarh.ws/forum/showthread.php?p=133757>.

٣ - بيان محمد سعيد الطباطبائي الحكيم.

<http://www.aldair.net/forum/showthread.php?t=46829>.

٤ - بيان آية الله الشيرازي.

<http://www.altwafoq.net/v2/art13938.html>.

(١) انظر للاستزادة ومشاهدة أمثلة لما ذكرنا موقع فيصل نور:

<http://www.fnoor.com/fn0237.htm>.

(٢) انظر مقطع فيديو في ذلك:

http://www.mashahd.net/view_video.php?viewkey=d368c6cd90bc0999c207.

(٣) انظر المبحث: الثالث الفصل: الثاني.

المبحث الثاني

مفاسد مناظرة أهل البدع علانية

تمهيد

مع تعدد مصالح المناظرات العلنية مع المبتدعة، وكثرة فوائدها، وكبير تأثيرها، وما لمستته أنا وغيري - ممن شاركوا في المناظرات - من نفعها للإسلام، وتقوية أهله، ودحض الباطل، وكشف الشبهات، إلا أنها لا تخلو من مفاسد، ربما كانت بسبب عدم انضباط المتناظرين، أو تحليهم بأداب المناظرة، وتنبهنا على المفاسد هنا يعني الحرص على تجنبها والسعي في إصلاحها، فالشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

❖ ومن هذه المفاسد:

- إشهار رموز أهل البدع، وإظهارهم، وربما كان أحدهم متحدثاً فصيحاً، أو أديباً بليغاً، فيعجب به عوام الناس، ويكون له عندهم شأن، سواء عوام أهل السنة أو الشيعة.
- وهذا يمكن تجنبه أو تقليله بأن يكون مناظره من أهل السنة، أحسن منه منطقاً، وأفصح بياناً، فيسقطه من أعين الناظرين، ويقلل شأنه عند المتابعين.
- ومنها: إظهار البدع المغمورة، والشبهات المطمورة، ونفض الغبار عنها، وإثارتها من جديد.
- وهذا يمكن تجنبه بتحديد موضوع النقاش في نقاط محددة، وشبهات مشهورة، معلومة عند أكثر الناس، يحرص المناظر من أهل السنة أن لا

يخرج النقاش عنها، لئلا يستفيد المبتدع من المناظرة في تمرير أفكار وشبهات لا تعلق لها بموضوع المناظرة.

• ومن المفاسد التي ذكرها بعضهم: ما نلحظه من استكبار أعداد من المبتدعة وإعراضهم عن الاستجابة للنصح الذي يسمعونه ويرونه في هذه المناظرات، وهذا حال عدد من أهل البدع قديماً وحديثاً.

ومن أمثلة ذلك مناظرة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي مع الرافضة، فقد جرت بينه وبين رأس من رؤوس الرافضة عبد المحسن الكاظمي مناظرة في حضرة ثلاثمائة رافضي، واستعان الرافضي بعشرة من شيعته؛ «فقطعهم الهلالي»^(١)، ومع ذلك لم يزد رؤوسهم - خاصة - إلا فجوراً، يدل على ذلك قول أحد الرافضة في مؤلف له: «كان الشيخ تقي الدين الهلالي قد أجرى حواراً أو مناظرة مع بعض خطباء الشيعة ولم أعرف من هم الشيعة الذين ناظرهم، ولم أكن أدري ما السبب الذي جعل تقي الدين الهلالي يستنكف عن مناظرة رجال الشيعة مثل السيد الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد الصدر، والسيد الشيرازي، وعشرات العلماء والمراجع المعاصرين له في العراق ولبنان وقم... وعجبت كيف راح يبحث في القرى عن الأميين، وهؤلاء موجودون طوع البنان»^(٢).

فانظر كيف بحث هذا الرافضي عن ملجئ يفر إليه من الإقرار للهلالي بالحق والغلبة على الرافضة.

ويظهر لي - والله أعلم - أن هذه مفسدة قليلة بجانب المصالح الكبيرة المتحققة من المناظرات، وأيضاً قد يكون بعض رؤوس المبتدعة تابوا ورجعوا عن بدعتهم دون أن يظهروا ذلك لأقوامهم، لأسباب لا تخفى.

• ومن مفاسد هذه المناظرات، ما يقع - أحياناً - من تبادل ألفاظ السب والشتم، وما شابهها مما لا يليق، وهذا وإن كان قليلاً، إلا أنه موجود في بعض المناظرات.

(١) انظرها في: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» للهلالي ص ١٥٠ - ١٨٠.

(٢) قال ذلك إدريس الحسيني، في كتابه «لقد شيعني الحسين» ص ٣٠.

ويمكن تجنب ذلك، بحسن اختيار المتناظرين ابتداءً، وأن يكون المذيع أو مدير الحوار حازماً، حسن الإدارة للحوار، قادراً على التصرف وعلاج الأمر في مثل هذه المواقف.

وبهذا يتبين أن منافع هذه المناظرات، ومصالحها أكثر من مفسدها، بشرط الالتزام بما تقدم، والاهتمام أيضاً بالتحلي بصفات المناظر، وسيأتي تفصيل ذلك^(١).



(١) انظر المبحث القادم.

المبحث الثالث

آداب المناظرة

تمهيد

تعتبر المناظرة وسيلة لا يستهان بها في دعوة الناس، وحماية العقيدة، ودحض أهل البدع، وتحذير الناس منهم، إلا أن لها آداباً إذا تحلى بها المتناظران، تحقق المقصود من المناظرة.

ومن هذه الآداب:

١ - إخلاص النية لله:

والإخلاص هو شرط قبول العمل، قال الإمام المزني: «وحق المناظرة أن يراد بها الله ﷻ، وأن يقبل منها ما يتبين»^(١).

وأن يجعل المناظر نيته إظهار الحق وبعيداً عن الرياء والمباهاة، قال تعالى: ﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والعزم على الانقياد للحق إذا تبين له، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۗ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ السُّبْحٰنِ ۗ﴾ [الألبي ١٨] [الزمر: ١٧، ١٨].

ويعترف بخطئه إذا تبين له، قال الامام الغزالي في شروط المناظرة: أن يكون كل طرف من طرفي المناظرة في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه. . واعلم أن المناظرة لقصد

(١) جامع بيان العلم ٢/١٣٢.

الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدد عند الناس وقصد المباهاة هي: منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها للفواحش من الكبر والعجب والحسد وحب الجاه وغير ذلك كنسب شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا، والقتل والسرقة^(١).

٢ - أن يكون الموضوع المحدد للمناظرة، نافعاً لسامعه، مفيداً، يستحق أن يبذل فيه الجهد، والبعد عن المناظرة ولا حوار في المواضيع التافهة قليلة الفائدة، قال الإمام مالك: «أدرت أهل هذا البلد - يعني المدينة - وهم يكرهون المناظرة والجدل إلا فيما تحته عمل»^(٢).

٣ - العلم بالموضوع الذي يناظر فيه: فيشترط العلم لمن يناظر ويعلم نقاط القوة والضعف لدى الخصم والثوابت والفروع.

قال تعالى: ﴿هَاتِنْتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].
وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، وقال ﷺ: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَخُضُّوهُ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال شيخ الإسلام: «وكان السلف ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة»^(٣).

٤ - أن يحتج المناظر بالكتب التي يعتمدها خصمه. وذلك حتى تقوم الحجة على الخصم، ويقبل ما يورده خصمه عليه، كما بين ربنا ﷻ في كتابه فقال تعالى: ﴿كُلُّ أَطْعَامٍ كَانَ جَلًّا لِيَنِيَّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٠١.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/٢٣٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٧/١٧٣.

فإن كان يهودياً تحتج عليه بالكتب التي يعتمدها في دينه، مما يوافق ما تحتج به عليه، وإن كان نصرانياً فكذلك، وإن كان شيعياً ألزمته بما ورد في كتبهم المعتمدة عندهم^(١).

٥ - حدد موضوع المناظرة، فلا تجعل المناظرة مفتوحة تناقش فيها كل نقاط الاختلاف.

وذلك حتى لا تتشعب المواضيع، ويضطرب ذهن السامع الباحث عن الفائدة من المناظرة، فتحدد النقاط التي يحصل النقاش فيها، وتكتب، ولا يخرج عنها الحديث والحوار.

٦ - ركز على موضوع المناظرة وليس شخصية من يناظره.

وهذا أمر مهم، لتتحقق الفائدة من المناظرة، ولا تخرج عن موضوعها الأساسي، وهذه أخلاق الكبار، أما من ينشغل بنقاش أمور تتعلق بشخصية من يناظره، ليخرج خصمه، أو يشتت ذهنه، فهذا يضيع فائدة المناظرة، وقد يسقط من عين الجمهور المتابع.

٧ - لا تسمح لخصمك بالانتقال عن الموضوع الأصلي للمناظرة، إلا إذا انتهى النقاش فيه.

وذلك أن بعض المناظرين، إذا شعر بهشاشة رأيه، وسقوط حجته، وضيق الزاوية التي حصر فيها، حاول أن يخرج من الموقف بالانتقال إلى موضوع آخر، وهذا ما يسميه العلماء «حيدته» عن المناظرة، وهي فعل الضعفاء.

وانظر إلى ما ذكره الله تعالى لنا في القرآن، في: مناظرة موسى ﷺ مع فرعون لما أراد فرعون تغيير موضوع المناظرة واستفزاز موسى إلى موضوع آخر، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

(١) مثل كتاب «الاستبصار» و«الصحيفة السجادية» و«الكافي» و«بحار الأنوار» و«كتاب الجفر الجامع» و«من لا يحضره الفقيه» و«معاني الأخبار» و«المجالس» و«علل الشرائع» و«تحفة العقول» وغيرها.

بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتِ الْهَذَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلُو جِثَّتِكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٢٣ - ٣٣].

قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي في معرض كلامه عن الجدل: «فأما آدابه التي إذا استعملها الخصم وصل بغيته، وإن لم يستعملها كثر غلظه واضطرب عليه أمره: تحديد السؤال والجواب، وترك المداخلة^(١)، والإمهال إلى أن يأتي الخصم على آخر كلامه، وينتظم آخر معانيه، والإقبال على خصمه والإصغاء إليه دون غيره، وأن لا يخرج من مسألة إلى أخرى حتى يستوفي الكلام في الأولى، واستعمال الحسن الجميل دون التشنيع والتقييح، وحفظ المقول، لئلا تجري مناكرة لما قيل، أو دعوى ما لم يقل، ولا يغير كلامه بما يحيل المعنى، ولا يلغو في نوبته، لأن ذلك يعمي عين البصيرة ويكسر حدة الخاطر»^(٢).

وانظر كذلك إلى نبي الله نوح عليه السلام في: مناظرته مع قومه، وهم يغيرون الموضوع، ويحاولون استفزازه باتهامه في شخصه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَّقُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغَكُمْ رَسُولِي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٢].

٨ - أحسن اختيار من تناظر.

ارفع نفسك عن مناظرة البطالين الذين لا هم لأحدهم إلا إضاعة الوقت في المناظرات، وكثرة الحوارات، ولا يعود عن باطله وإن تبين له الحق، كما

(١) يعني مقاطعة المتحدث.

(٢) كتاب الجدل لأبي الوفاء بن عقيل ص ٢٤.

قال ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٩ - ولا تناظر من تهابه عند الحوار.

وذلك أن المرء إذا ناظر من يهابه، كأن يكون شيخاً له، أو عالماً له أتباعه، أو حاد العبارة شديد الكلام، فهنا إن كان خصمه أقل منه، فقد يرتج عليه في المناظرة، ويتشتت ذهنه، وتضيع منه الحجج.

ويمكن أن يستأنس هنا بقوله ﷺ: «رحمة الله على لوط إن كان لياوي إلى ركن شديد إذ قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه»^(١).

١٠ - إن كنت ناقلاً فاحرص على صحة النقل، وإن كنت مدّعياً فأورد

الدليل.

وذلك أنه ولا يحسن بالمرء الاستدلال بدليل ضعيف، أو حكاية أثر أو قول غير ثابت، فإن ذلك يهدم بناءه، ويضعف حجته، ويمكن منه خصمه.

وإذا دعاوي لم تقم بدليلها بالنص فهي على السفاه دليل

١١ - لا تلتفت أثناء المناظرة إلى من يحاول إثارة الفتنة أو الشغب من

جمهور الحاضرين، أو من المناظرين الآخرين، بل ركز فكرك واجمع حجتك، لحوار نظيرك، ولا تلتفت إلى الحاضرين غيره، ولا تشتغل بهم سواء مدحوك أو ذموك.

ومن لطائف ما أورده أهل الأدب في ذلك:

أنه اجتمع متكلمان، فقال أحدهما للآخر:

١٢ - هل لك في المناظرة؟

فقال الآخر: نعم، على شرائط:

• ألا تغضب

• ولا تعجب

(١) رواه الترمذي (ح ٤٢٥)؛ وأصله في البخاري (ح ١٢٥٤).

- ولا تشغب
- ولا تحكم
- ولا تُقبل على غيري وأنا أكلمك
- ولا تجعل الدعوى دليلاً
- ولا تجوّز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي .

• وعلى أن تؤثر التصادق .

• وتنفاد للتعارف .

• وعلى أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته^(١) .

١٣ - الإنصات التام للخصم وعدم مقاطعته .

فإنك إذا لم تنصت لخصمك فلن ينصت لك، وعندها ما الجدوى من

المناظرة؟

ولنا في رسول الله ﷺ، أسوه حسنة، فإنه لما أتى عتبة إلى رسول الله ﷺ

فقال:

يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ .

فقال عتبة: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ .

فقال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الجبلى، بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى!

أيها الرجل! إن كان بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون

(١) الراغب الأصفهاني، في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ص ٢١٥ .

أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباء فاختر أي نساء قريش فنزوجه عسراً.

والنبي ﷺ ينصت إليه بهدوء، لم يقاطعه، ولم يعترض عليه، حتى إذا انتهى عتبة من كلامه، قال له رسول الله ﷺ بكل أدب: أفرغت؟ قال: نعم.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿حَمَّ ۙ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۙ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَذْرْتَكُمْ صَعِفَةً مِّثْلَ صَعِفَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۙ﴾، فقال عتبة: حسبك^(١).

١٢ - كن عادلاً، ولا تنكر الحق في كلام خصمك، حتى وإن كان أكثر كلامه باطلاً.

وتأمل فيما حكاه الله تعالى عن نبي الله موسى ﷺ، في حوارهِ مع فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۚ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۙ﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۙ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۙ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۙ﴾ [الشعراء: ١٨ - ٢٢].

١٣ - أن لا يستأثر أحد المتناظرين بالكلام، بل يقسم بينهما بالعدل. قال ابن عقيل: «وليتناوبا الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث ينصت المعترض للمستدل حتى يفرغ من تقريره للدليل، ثم المُستدِلُّ للمعترض حتى يُقرر اعتراضه، ولا يقطع أحد منهما على الآخر كلامه وإن فهم مقصوده من بعضه»^(٢).

١٤ - لا تستعجل بالرد على الخصم إلا بعد الفهم التام لما قال، ولا تخجل من طلب التوضيح أو التكرار عند الحاجة إلى ذلك. وذلك أن «المستدل إذا بين دعواه بدليل، فإن خفي على الخصم مفهوم

(١) مجمع الزوائد للهيتمي - ٢٢/٦، من رواية جابر بن عبد الله ﷺ. ورجاله ثقات.

(٢) فن الجدل ص ٣٤.

كلامه لإجمال أو غرابة فيما استعمل استفسره، وعلى المستدلّ بيان مراده عند الاستفسار، وإلا يبقى مجهولاً فلا تمكن المناظرة»^(١).

ولا تستعجل بالرد على الشبهة، «ولا ترد على أحد جواباً حتى تفهم كلامه، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك، ولكن افهم عنه، فإذا فهمته فأجبه ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم فإن الجواب قبل الفهم حُقم»^(٢).

١٥ - تخير الألفاظ الفصيحة الواضحة، وتجنب العامية والكلمات غير المفهومة أو الألفاظ التي تحتل معنيين.

فإن المتكلم عبر الوسائل الإعلامية العامة؛ كالقنوات الفضائية، وقنوات الشبكة العنكبوتية، يسمعه ويشاهده كل أحد مع اختلاف الأجناس واللغات، وقد قال الله تعالى في حكاية دعاء موسى ﷺ: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤].

١٦ - من ذكاء المناظر وحنكته، أن يسأل خصمه أسئلة غير متوقعة، ويورد عليه إیرادات مفاجئة، لكنها جميعاً داخلة في موضوع المناظرة، وذلك أن الخصم يكون مستعداً لأسئلة مشهورة، قد جهز الرد عليها، فمباغتته بسؤال لم يتوقعه، يُظهر عجزه وجهله.

١٧ - اهدم الرأي الباطل ثم اشرح الحق، ليستقيم كلامك عند السامع. معلوم أن المناظر الذي يبدأ المناظرة يشرع في بيان ما يراه حقاً، مع الاستدلال له، فهو يبني بناءً يقويه بحجته ودليله، عندها فإن الطرف الآخر المعارض المخالف لا يصح أن يبدأ بالاستدلال لرأيه أيضاً إلا بعد أن يهدم ما بناه خصمه، وذلك لتكتمل الفائدة وتزول الشبهة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الدليل إن لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم.. فإن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى

(١) الموسوعة الفقهية ٣٩/٥٤.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/١٤٨.

ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً أخذ يعارضك فيه، لما قام في نفسه من الشبهة . . فينبغي إذا كان المناظر مدعياً أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل، امحه أولاً، ثم اكتب فيه الحق^(١).

١٨ - اختصر كلامك قدر المستطاع عند عرض رأيك، دون إخلال

بالمعنى.

وذلك أن السامع للمناظرة الباحث عن الحق، ربما شق عليه فهم الكلام مع التطويل والتفصيل، وربما أيضاً شرد ذهنه وهجمت عليه السامة والملل. ومن لطائف ما ذكر في ذلك، أن الإمام الباقلاني كان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة، وجرى يوماً بينه، وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام، ووسع العبارة، وزاد في الإسهاب، ثم التفت إلى الحاضرين، وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب!

فقال الهاروني: اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما

قال!^(٢).

وقال طاش كبري زاده، في منظومته عن آداب المناظرة:

وليجنب فيها عن الإطناب	ثم عن الإيجاز والخطاب
إلى رفيع القدر والمهابة	وعن كلام شابه الغرابة
ومجمل من غير أن يفصلا	كذا تعرّض لما لا مدخلا
كذاك عن دخل قبيل الفهم	لا بأس من إعادة للفهم
ولا يظن خصمه حقيراً	وليلزم التعظيم والتوقيراً
ثم عن الضحك وما قد ذكرا	وما عيناه ومنا صدرا

(١) العقيدة الأصفهانية ٢٣/١.

(٢) وفيات الأعيان ٢٦٩/٤ في ترجمة الباقلاني.

إيراده قد صح في ذا الباب فهذا خواتيم الآداب^(١)
 ١٩ - لا تبدأ المناظرة إلا وأنت مستقر النفس، مرتاح البال، فلا تناظر
 وأنت خائف، أو جائع، أو مريض، أو غضبان، أو منشغل البال بشيء،
 وذلك حتى تستجمع الفكر، وتستحضر الحجة، وتأمين الغلط.
 ٢٠ - حاول أن تورد في البداية الآراء المتفق عليها بينك وبين الخصم،
 وأن تسأله أسئلة يكون جوابها: نعم، وهذا أمر نفسي معروف، وهو من طبيعة
 البشر.

فمثلاً عند مناظرة الرافضي الذي ينصب للصحابة رضي الله عنهم العداة، قل له
 ابتداءً:

ألمست تؤمن أن الله تعالى يختار لرسوله الأصلح؟
 فيقول: نعم.

فقل: أليس الله تعالى قد فضح أعداداً من المنافقين، ونص على صفاتهم
 تصريحاً؟

فيقول: نعم.

فقل: إن الله تعالى أثنى على أبي بكر في القرآن، وسماه صاحباً
 لرسوله ﷺ، وقدر أن يدفن أبو بكر بجانب رسول الله ﷺ، ألا يدل هذا على
 فضيلة أبي بكر؟

فقد يسكت، أو يقول: نعم - مضطراً - .

فقل: أفيكون هذا كله لأبي بكر وهو منافق أو كافر كما تزعم؟

إلى غير ذلك مما يمكن أن يناظر به المخالفون، سواء من المنتسبين إلى
 الإسلام، أو غيرهم.

٢١ - لا تناقش في فروع المسائل وتفصيلاتها، وأنت وخصمك لم تتفقا
 على الأصل.

(١) ذكرها في كتابه «علم البحث والمناظرة» نقلاً عن كتاب الذخيرة في المصنفات
 الصغيرة لأبي عبد الرحمن بن عقييل للظاهري ١/٢٩٥.

وصورة ذلك: أن تناظر أحد الشيعة في مناقب أبي بكر رضي الله عنه وهذا الشيعي يعتقد كفر أبي بكر رضي الله عنه! بل أقم عليه الحجة ابتداءً بإيمان أبي بكر رضي الله عنه، ثم ناقشه في الفروع، كما قيل أثبت العرش ثم انقش.

٢٢ - اجمع قبل المناظرة أكثر ما تستطيع من مسائل، لتناظر بها الخصم. حتى إذا ذهلت عن مسألة، أو لم يناسب السياق إيرادها، أوردت غيرها، وليكن لك أسوة بنبي الله تعالى إبراهيم رضي الله عنه في مناظرته للنمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٢٣ - احفظ لسانك، وجمل منطقتك، ولا يستترك الخصم، ولا يجرك إلى استعمال ألفاظ عبارات الشتم واللعن، والسخرية والاستهزاء والتهمك. ولا شك أن حفظ اللسان، وتجنب اللغو، هو من أخلاق المؤمنين، فضلاً عن أن يكون من أهم أخلاق أهل العلم، قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢) ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٤٣) ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُدَكِّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٢ - ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال عليه السلام: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(١).

٢٤ - ضبط النفس وعدم الانفعال والحرص على التلطف مع الخصم أثناء الحوار بكلمات مودة واحترام طيلة المناظرة، رغبة في جرّه إلى الخير، وجذبه لأهله.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٣٨)؛ وأحمد (٣٨٣٩)؛ والبخاري في الأدب المفرد ٣١٢؛ والترمذي (١٩٧٧)؛ وابن أبي عاصم في السنة ١٠١٤.

ومن جميل ما ورد في ذلك، ما جاء عن ابن عون رحمه الله تعالى: «أنه كان إذا أغضبه رجل، كظم غيظه وقال له: بارك الله فيك»^(١)، وأعجب منه ما روي عن يوسف ابن الإمام ابن الجوزي من ضبط نفسه أثناء المناقشة، فقد حكي عنه أنه «كان يناقش ولا يحرك جارحة!»^(٢)، وجاء عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة: «أنه كان لا يناقش أحداً إلا وهو يتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسم!»^(٣).

وكان المبارك ابن المبارك الضرير النحوي قد التزم سماحة الأخلاق، وسعة الصدر، فكان لا يغضب من شيء، ولم يره أحد قط حردان، وشاع ذلك عنه، فبلغ ذلك بعضهم فقال: ليس له من يغضبه، ولو أغضب لغضب! فخاطره أشخاص على أن يغضبه.

فجاءه، فسلم عليه، ثم سأله عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ودله على محجة الصواب.

فقال له: أخطأت!

فأعاد الشيخ الجواب باللفظ من ذلك الخطاب، وسهل طريقته، وبيّن له حقيقته.

فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو، ويهتدي بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك!!

فلاطفه، وقال له: يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت.

فقال الرجل: كذبت! لقد فهمت ما قلت، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم.

فقال الشيخ - وهو يضحك -: قد عرفت مرادك، ووقفت على مقصودك،

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٦٦.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٢٦٠.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٣٧.

وما أراك إلا وقد غُلبت، فأدّ ما بايعت عليه، فلستَ بالذي تغضبني أبداً، وبعد يا بني: فقد قيل إن بقّة جلست على ظهر فيل، فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران! فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست! فكيف أستمسك إذا أنت طرت؟!

والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل، ولا تفهم الجواب، فكيف أستاذ منك^(١).

٢٥ - تجنب أسلوب التحدي وكن رقيقاً حسن النية، وذلك أن التحدي قد يجعل الخصم يكابر ولا يعترف بخطئه حتى لو اقتنع به في داخل قلبه، إلا إذا رأيت أن الخصم يكابر - مع قناعته - وأن تحديك له سيسوقه إلى الاعتراف بالحق، فهنا لكل مقام مقال، كما قال ربنا تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٢٦ - ليكن هدفك في المناظرة بيان الحق، وإيضاحه، وليس شرط انتصار الحق في المناظرة أن يعترف الخصم بخطئه.

فلا تتكلف إلهاءه إلى الزوايا الضيقة لتضغط عليه ليصرح بالاعتراف بخطئه، إلا إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، كتحذير الناس منه، أو تنفير أتباعه العوام عنه، أو ما شابه ذلك.

والمقصود من المناظرة إظهار الحق، وتعريف الناس به، وفضح الباطل، وتحذير الناس منه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْهُمُ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

٢٧ - تكلم أثناء المناظرة بصوت معتدل، فلا تخفضه خفض الضعيف المتخاذل، ولا ترفعه رفع اللجوج المتعالي، بل اجعل صوتك متوسطاً.

وقد وُجد بالخبرة والتجربة، أن الصوت المعتدل الهادئ المتأنى من غير صراخ أو صياح، ومن غير إسرار وإخفات، هو الأدخل إلى النفوس، والأنفذ إلى الأعماق، والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم.

ولا يحسن بالمحاور أن يرفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإن رفع الصوت لا يُقوِّي حجة صاحبه، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الأعلى قليل المضمون، ضعيف الحجة، يستر عجزه بالصراخ، على عكس صاحب الصوت الهادئ الذي يعكس عقلاً متزناً وفكراً منظماً وحجة وموضوعية. قال أبو عثمان محمد بن الشافعي: ما سمعتُ أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته^(١).

غير أن الإنسان قد يضطر إلى تغيير نبرات الصوت تبعاً للموقف ونوع الكلام، لينسجم الصوت مع الفكرة التي يناقشها، كما قال ربنا تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨].

٢٨ - التواضع وترك الإعجاب بالنفس.

ولا شك أن التزام الأدب وحسن الخلق - عموماً - والتواضع أثناء المناظرة على وجه الخصوص، له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق، وإذعانه للصواب، فكل من يرى من مُحاوره توقيراً وتواضعاً، وخلقاً كريماً، وعبرة رفيقة، فإن ذلك يدعوه إلى أن يحترم مُحاوره، ويفتح قلبه لسماع رأيه، وربما رجع عن الباطل الذي يعتقد، وإن لم يصرح بذلك.

٢٩ - لا تكثر استعمال ضمير المتكلم، مثل: «في رأيي» أو «أرى» فهي ثقيلة على أذن السامع ونفسه، والصواب استعمال عبارات عامة مثل «وقد تقدم قبل قليل...»، و«مما سبق يتبين...»، ونحوها من العبارات التي لا تنسب فيها الفعل إلى نفسك.

٣٠ - ومن آداب المناظرة إنصاف الخصم، وعدم ظلمه، فلا تستغل جهله فتنسب إلى مذهبه ما ليس فيه، ولا تعتد على وقته المخصص له في المناظرة، وأثن على ما يورده من حق، وربنا تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

(١) تهذيب الأسماء، للنووي ص ٨٤.

ولك أسوة بالسلف، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية عندما تكلم في بعض العلماء مثل: الجويني والباقلاني وعدد من من المتكلمين ممن لا يخلو حالهم من خلل، قال: «ثم ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة، وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلمٍ وصدقٍ وعدلٍ وإنصافٍ»^(١).

٣١ - اعرض رأيك أثناء المناظرة بأسلوب، يشعر معه الخصم أن الفكرة فكرته، حتى يقيم هو الحجة على نفسه، ليسهل عليه تبني الرأي واعتقاده. ومن نظر في سيرة النبي ﷺ وجد أن هذا الأسلوب ظاهر في حواراته، من ذلك ما رواه أبو أمامة رضي عنه: أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا!

فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال له ﷺ: «أدنه». فدنا منه قريباً، فجلس.

فقال له ﷺ: «أتحبه لأُمَّك؟».

قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أفتحبه لابنتك؟».

قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك.

قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم، أفتحبه لأختك؟».

قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، أفتحبه لعمتك؟».

قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم، أفتحبه لخالنك؟».

قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم».

ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن فرجه».

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

وهذا ظاهر أيضاً في محاوراة إبراهيم ﷺ مع قومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا
ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٦) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ
كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٧﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ
نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٢٠﴾ أَفِ لَكُمْ أَلْمَامٌ أَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ [الأنبياء: ٦٢ - ٦٧].

ومن لطائف ما يورد في ذلك: أن أبا العباس الطوسي سيء الرأي في
أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فأقبل عليه يوماً وقال له: يا أبا
حنيفة، إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل ولا يدرى
أحدنا ما هو! أيسعه أن يضرب عنقه؟

قال أبو حنيفة: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟

قال أبو العباس: بالحق.

قال أبو حنيفة: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه.

فلما رحل أبو العباس، قال أبو حنيفة لمن حوله: إن هذا أراد أن

يوثقني فربطته^(٢).

٣٢ - قد تنتهي المناظرة، أو المناظرات، وخصمك مصرّ على رأيه، مع
ضلال هذا الرأي، ويظهر له الحق واضحاً كوضوح الشمس، ومع ذلك لا
يتبعه، إما غياً واستكباراً، أو جهلاً وضلالاً، كما قال تعالى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا

(١) رواه أحمد في مسنده ح ٢٢٤٥؛ والطبراني في المعجم الكبير (ح ٢١٤).

(٢) الأذكياء لابن الجوزي ص ٧٩.

وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾ [النمل: ١٤] (١).

فهنا لا تعتبر نفسك فشلت في المناظرة، ولا يخذلك عن نصح غيره، ومناظرتك، فقد يقبل الحق في داخل نفسه دون أن يظهر لك ذلك، أو قد يقبله أتباعه الذين رأوا حجته دحضت، ومذهبه أسقط، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: ٨٢، ٨٣].

٣٣ - بعد انتهاء المناظرة، ومفارقتك مناظرك، احذر من غيبته عند من يسألك عنه، أو تنقصه والكلام في عرضه، إلا إن احتجت إلى التحذير منه، فاذا ذكر ما اضطرت إليه من بيان حاله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَهْلُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿وَلَا تَطَّعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

فهذه بإيجاز جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المناظر عموماً، سواء ناظر في قضية عقدية أو فقهية، أو سياسية، أو غيرها، وسواء كان المتناظران كلاهما من أهل السنة والجماعة، أو كان أحدهما من أهل السنة والآخر مبتدعاً، فإن المتناظرين في كل هذه الأحوال ينبغي أن يلتزموا بالآداب لتؤتي مناظرتهم أكلها، وتحقق الغاية منها.

أما إن كانت المناظرة في العقيدة، وكان المناظر المخالف هو من أهل البدع، وكانت المناظرة علنية في القنوات الفضائية أو ما شابهها، فهناك آداب تضاف لهذه الآداب، أعرضها في المبحث القادم.



(١) للاستزادة من آداب المناظرة يمكن مراجعة: كتاب «فن المناظرة» للأستاذ عمر سليم، منشور في الشبكة العنكبوتية، و«أصول الجدل والمناظرة» للشيخ حمد بن إبراهيم العثمان، وأدب الحوار والمناظرة للأستاذ علي جريشة، آداب البحث والمناظرة للشيخ الأمين الشنقيطي، وغيرها.

المبحث الرابع

توجيهات عامة لمناظر المبتدعة

تمهيد

تقدم عرض آداب المناظرة، وأخلاق المناظر، بوجه عام، لكنني هنا سأسوق توجيهات خاصة لمن يناظر أهل البدع عامة، والشيعية خاصة. فمن يريد خوض المناظرات، والمشاركة في الحوارات، لا بد أن يتحلى بصفات، ليحقق الغاية من المناظرة، ويصيب الهدف الذي تناظر لأجله.

وفيما يلي أعرض شيئاً من الصفات التي ينبغي توافرها في المشارك في هذه المناظرات، وأسوق بعض التوجيهات حول ذلك:

١ - أن يكون المشارك من أهل السنّة والجماعة ممن يستحق أن يمثل الإسلام، ويتحدث باسم المسلمين.

وذلك يتحقق بشروط:

- أن يكون فصيحاً، واضح العبارة، سهل الشرح والبيان، ليفهمه عوام الناس، وجهلاؤهم قبل غيرهم.
- أن يكون عنده من الجرأة والشجاعة، ما يعينه على بيان الحق، وعدم السكوت عن الباطل.
- أن يكون سريع البديهة، ذكياً، لماحاً، له قدرة على مباغته الخصم، وانتهاز الفرص أثناء المناظرة.
- أن يكون حليماً، قادراً على ضبط نفسه، غير متعجل، ولا سريع الانفعال، ولا يستجيب لإثارة الخصوم له.

- أن يكون له علم واسع بمذهب أهل السُّنَّة، ومذهب المخالف، ليستطيع الإجابة عن الشبهات، ويبين رأي أهل السُّنَّة والجماعة بوضوح، ولئلا ينسب إلى أهل السُّنَّة والجماعة ما ليس في مذهبهم.
- أن يكون في قلبه من الدين والإيمان ما يعصمه بإذن الله من الشبهات، قال الإمام مالك بن أنس: «الداء العضال التنقل في الدين، وقال: قال رجل: ما كنت لأعبأ به فلا تلعبنَّ بدينك»^(١).
- أن يتنبه غاية التنبه لقلبه ونيته، وسلامة عقيدته، ويقول لنفسه: «إني لو نجوتُ وعطب أهل الأرض من أهل الأهواء ما ضرني ذلك، ولو عطبُتُ ونجوا ما نفعني، إفقامتي الحجة عليهم وتركبي أن أقيم الحجة على نفسي - في تضييعي أمره حتى أؤدي ما أمرني به ربي، وأنتهي عمًا نهاني عنه، وأربح أيام عمري ليوم فقري وفاقتي - أولى بي فقد شغلوني عن نفسي وعن العمل لنجاتي»^(٢).
- أن يكون له ارتباط بإخوانه من العلماء وطلبة العلم، تثبيتاً له على الخير، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].
- أن يكون له معرفة ومقدرة على البحث السريع فيما أشكل عليه من كلامه أو كلام الخصم، وذلك إما بالاتصال بأهل العلم، أو استعمال الوسائل الحديثة مثل الأقراص الممغنطة المحتوية على ملايين الصفحات، أو الشبكة العنكبوتية.
- أن يحذر من إغراءات الخصوم، وكيدهم، ومكرهم، وذلك أن المبتدع قد يسلك معه طرقاً يوصل بها إليه ضرراً، أو يغريه بمال أو هدية، يستميل قلبه، ليسكت عن الحق أو بعضه.

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٠٦/٢.

(٢) الرعاية لحقوق الله تعالى للحارث المحاسبي ص ٤٦٠.

٢ - كلما كان المشارك من أهل السنة له وجاهته، وشهرته، كان أثره أكبر، سواء على أهل السنة أو غيرهم.

٣ - الحرص على أن لا يشتغل أكثر وقته بهذه المناظرات، ويغفل عن قلبه وصلاح نفسه، قال جعفر بن محمد: إياكم والخصومة في الدين؛ فإنها تُشغل القلب، وتورث النفاق^(١).

٤ - وجود حكم في المناظرة يفصل بين الخصمين عند الاختلاف، أو أصول يرجع إليها.

وذلك أن المناظر قد يستدل بحديث على خصمه المبتدع فيرده الخصم بناء على أن الراوي غير معتمد عنده، أو الكتاب ليس بحجة عنده.

قال الإمام الشاطبي: «روينا أن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أو لا، فإن لم يتفقا على شيء لم يقع بمناظرتهما فائدة بحال».

والأصل هو الرجوع للكتاب والسنة أن كان المتناظرين مسلمين: ﴿فَإِنْ نَنْزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إذا تنازع المسلمون في مسألة وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، فأبي القولين دلل عليه الكتاب والسنة وجب اتباعه»^(٢).

ولا يجوز التحاكم إلى عقول الناس لأن العقول متفاوتة في الفهم والإدراك، قال شيخ الإسلام: «وهذا لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل»^(٣).

وكان أبو هريرة يتوضأ مما مست النار، فبلغ ذلك ابن عباس فأرسل إليه: أرايت لو أخذت دهنة طيبة فدهنت بها لحيتي أكنت متوضئاً؟ قال أبو

(١) الإبانة الكبرى ٥٢٦/٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٢٩/١.

هيريرة: يا ابن أخي، إذا حدثت بالحديث عن النبي فلا تضرب له الأمثال جدلاً^(١).

وإن كان المناظر ملحداً أو لا يؤثر فيه النصوص، سواء من القرآن والسنة، أو كتبه، أو غيرها فتناظره بالأدلة العقلية والبراهين.

وقد ذكر الله تعالى هذه الطريقة في القرآن، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿أَطَاعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء: ٩٩].

٥ - أن لا يقبل المناظر السني أن يناظر كل أحد من المبتدعة مناظرات معلنة جماهيرية، بل يناظر رؤوسهم الذين لهم تأثير، وذلك أن هؤلاء معتمدون عند قومهم، وقولهم حجة في مذهبهم، وكلامهم له وزنه، ودحضهم وفضح باطلهم، له تأثيره.

أما صغار المبتدعة والمغمورون فهؤلاء لا ينبغي الاستجابة لمناظراتهم، وذلك أنه إذا ناظر العالم السني مبتدعاً غير مشهور ولا معتمد في مذهب قومه فقد يظهر هذا المبتدع لعوام الناس، ويعرفونه، وربما صار له مستمعون ومتابعون بعدها، بعدما كان مغموراً لا يكاد يعرفه أحد، بل مثل هذا لا يناظر على الملأ، ولكن يُنصح ويُناظر في مجالس مختصرة.

فمجالسة أئمة السنة للمبتدع قد تغرُّ به من سَلِمَ من هذه البدعة ولم يعلم بها، أو قد تعطي لهؤلاء شيئاً من الاعتبار والمكانة التي لا يستحقونها، وقد تؤدي إلى شهرة المبتدع وظهوره وانتشار البدعة وعلم الناس البرءاء منها.

قال أبو القاسم الأصبهاني وهو يذكر فصلاً مستخرجة من السنة: «وترك مجالسة أهل البدعة ومعاشرتهم سنة؛ لئلا تعلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعضُ بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل بدعة، ولئلا يكون في

(١) أورده ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام ٢/١٠٤.

مجالستهم ذريعة إلى بدعتهم»^(١).

فكان الحزم عند وُجْهَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ، الحذر من استفادة هؤلاء المغمورين من جماهير أهل السُّنَّةِ.

وقد هجر الإمام أحمد بن حنبل الحارثَ المُحَاسِبِي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك، أَلَسْتَ تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟!، أَلَسْتَ تحمل الناسَ بتصنيفك على مطالعة البدعة؟ والتفكر في تلك الشبهات؟ فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث^(٢).

ولعل هذا هو الذي أدخل على الحارثَ رَضِيَ اللهُ التَّأثير ببعض المذاهب البدعية فدخلت عليه البدعة من حيث أراد ردها^(٣).

وقال ابن هانئ: «سألت أبا عبد الله عن رجل مبتدع داعية يدعو إلى بدعته، أيجالس؟. قال: لا يجالس ولا يُكَلِّم لعله أن يرجع»^(٤).

قال الإمام اللالكائي: «فلم تزل الكلمة مجتمعة، والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف، وكلام غير مألوف في أول الإمارة المروانية تنازع في القدر وتكلم فيه.. ثم انطمرت هذه المقالة، وانجر من أظهرها في جحره، وصار من اعتقدها جليس منزله، وخبياً نفسه في السرداب كالميت في قبره؛ خوفاً من القتل والصلب والنكال والسلب، ومن طلب الأئمة لهم لإقامة حدود الله ﷻ فيهم - وقد أقاموا في كثير منهم، ونذكر في مواضعه أساميهم - وحثَّ العلماء

(١) كتابه الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّةِ ٥٠٩/٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٩٥/١.

(٣) وقارن بميزان الاعتدال ٤٣١/١ وفيه تعليق قيم للإمام الذهبي رَضِيَ اللهُ؛ سير أعلام النبلاء ١١٢/١٢؛ موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٤٥٢/١ - ٤٦٦؛ وانظر حول منع أحمد من الرد على المبتدعة - أيضاً -: الإبانة الكبرى ٤٧١/٢ - ٤٧٢.

(٤) مسائل الإمام أحمد ابن حنبل برواية ابن هانئ ١٥٣/٢؛ والإبانة الكبرى لابن بطة ٤٧٥/٢؛ وانظر كذلك حول السكوت وترك المراء: الشريعة ٤٥٣/١؛ الإبانة الكبرى ٥٢٢/٢.

على طلبهم، وأمروا المسلمين بمجانبتهم، ونهوههم عن مكالمتهم، والاستماع إليهم، والاختلاط بهم لسلامة أديانهم. وشهروهم عندهم بما انتحلوا من آرائهم الحديثة، ومذاهبهم الخبيثة خوفاً من مكرهم أن يُضلوا مسلماً عن دينه بشبهة وامتحان، أو بريق قولٍ من لسان. وكانت حياتهم كوفاة، وأحيائهم عند الناس كالأموات. المسلمون منهم في راحة، وأديانهم في سلامة، وقلوبهم ساكنة، وجوارحهم هادية. وهذا حين كان الإسلام في نضارة، وأمور المسلمين في زيادة»^(١).

ثم ذكر بداية أمر مناظرة أهل البدع ثم قال: «فما جُني على المسلمين جنائياً أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذُلُّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدأ ودرداً، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً؛ حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقَ أسمع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة..»^(٢).

فهذه جملة ما تيسر جمعه في صفات المناظر، في هذا النوع من المناظرات.

وختاماً: لا ينبغي التوسع في مثل هذه المناظرات، إنما تكون على سبيل إقامة الحجة على أهل الضلال وإظهار دين الله تعالى، وهذا لا ينبغي للإنسان أن يكثر سماعه للمناظرات، ربما يقع في شبه وشبهات وضلالات.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

[الكهف: ٢٢].

وقال ﷺ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾

[مریم: ٣٤].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٦/١ - ١٧.

(٢) المصدر السابق ١٩/١؛ وانظر كلاماً نفسياً حول هذا المعنى في: الإبانة الكبرى لابن

﴿هَآأَنَّهُمْ هُنُوْلَاءٌ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدِلُ اللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ وَكِيْلًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [النساء: ١٠٩].
وقال تعالى: ﴿وَجَدَلُوْا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
[غافر: ٥].



الخاتمة

- أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث . . وأسأله تعالى النفع والقبول . .
- ولا شك أن العناية بموضوع المناظرات العلنية، أمر من الأهمية بمكان. وقد خلصت من هذا البحث إلى عدد من النتائج:
- ١ - أن المناظرات أسلوب لا يستهان به من أساليب إثبات الحق، ودحض الباطل.
 - ٢ - لا بد أن يتأدب المناظر بآداب المناظرة، لتحقق المناظرة الغاية منها.
 - ٣ - اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالمناظرات، وألّفوا فيها، وشرحوا آدابها وشروطها.
 - ٤ - المناظرات العلنية، في القنوات الفضائية، لها مصالح ومفاسد، لكن مصالحتها أكثر من مفاسدها.
 - ٥ - على المناظر في القنوات الفضائية أن يلتزم بأساليب وطرق وآداب، أكثر ممن يناظر في غير القنوات الفضائية.
 - ٦ - لا ينبغي أن ينشغل طالب العلم بالمناظرات، عن صلاح نفسه، والاستزادة من العلم.
- أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات . .
- والله تعالى أعلم . . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . .

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين
جامعة الملك سعود بالرياض
الرياض في ٢٤ محرم ١٤٣٠هـ

مِنْهَا ظُهُورُهُ



وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرِيفِيُّ
عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَالِيٌّ
عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَالِيٌّ